



فتوى بشرعية القيام بالأعمال التظاهرية في مواجهة الأعداء ولو كان المتظاهرون لا يملكون سلاحاً، وكان العدو مدجأً بالسلاح، وكون الموت في هذا الطريق من الاستشهاد في سبيل الله - تعالى - .

إن الأمة بحاجة إلى الإقدام والجرأة وهي أحوج ما تكون إلى ذلك في هذه الأيام، وكل فعل يؤدي إلى بناء الجرأة والشجاعة في قلوب المسلمين وكذا يؤدي إلى نزع الخوف والرهبة من قلوبهم وتجريئهم على أعدائهم المدججين بالسلاح وزرع الخوف في قلوبهم، وتحقيق إهراجهم والتضييق عليهم وإساءة وجوههم، إنما هو ضرب من ضروب الجهاد والمقاومة الممدودة، وليس كما يخيل للبعض أنها إلقاء بالنفس إلى التهلكة.

وفي هذا السياق واستدلاً على ذلك؛ فإنني أسوق هنا قولين لعلمين من أعلام الأمة وعلمائهما في عصرين مختلفين؛ الأول محمد بن الحسن الشيباني، تلميذ الإمام أبي حنيفة الذي عاش في القرن الثاني للهجرة (أي قرون الخيرية). والثاني هو شيخ الإسلام ابن تيمية الذي عاش ظروفاً مشابهة لظروفنا من عدوان التتار على الأمة.

قال محمد بن الحسن الشيباني تلميذ أبي حنيفة - رحمهما الله - "لو حمل رجل واحد على ألف رجل من المشركين وهو وحده، لم يكن بذلك يأس إذا كان يطمع في نجاة أو نكأة في العدو، فإن لم يكن كذلك فهو مكروه، لأنه عرض نفسه للتلف في غير منفعة المسلمين، فإن كان قصده تجرئة المسلمين عليهم حتى يصنعوا مثل صنيعه فلا يبعد جوازه، ولأن فيه منفعة للمسلمين على بعض الوجوه، وإن كان قصده إرهاب العدو، وليعلم صلابة المسلمين في الدين فلا يبعد جوازه، وإذا كان فيه نفع للمسلمين فتلتفت نفسه لإعزاز الدين وتوهين الكفر، فهو المقام الشريف الذي مدح الله - تعالى - المؤمنين بقوله: **{إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ}** [التوبه 111].

أقول: لقد جعل الإمام الشيباني - رحمه الله - تحقيق النفع للمسلمين هو المعيار الذي تقاس به الأفعال: أهي مشروعة أم ممنوعة؟ فرأى مشروعيية العمل الذي لا تقع به نكأة مادية بالعدو ما دام فيه نفع معنوي للمسلمين من الجرأة على الأعداء، وكذا فيه توهين للعدو وإضعافه، ولا شك أن الزمان له أثره في اعتماد الوسائل لتحقيق منفعة المسلمين وتهين الأعداء. ومن المؤكد في زماننا أن اقتحام الشباب العزل بل والشيوخ والأطفال والنساء على وفق ضوابط شرعية - لا سيما فيما

يتعلق بخروج النساء - لا بد من مراعاتها وإن خروج المرأة يتحول إلى مأثمة إذا لم تُراع هذه الضوابط في لباسها وموقع وجودها هو أعظم إضراراً بالعدو وبسمعته وبعلاقته مع أمم الأرض، وبالتالي إساءة وجهه وكشف عدوانه من القيام ببعض العمليات العسكرية المسلحة، وهو ما يُعرف في زماننا بـ(وسائل التغيير الإسلامي) أو (المقاومة المدنية)، ومن هنا فإن من يُقتل من هؤلاء وهو يمارس هذه الضغوط على العدو رجلاً كان أو امرأة، صغيراً كان أو كبيراً؛ فإنه يقضي مجاهاً ويسقط شهيداً - بإذن الله تعالى -، بشرط أن يكون مستحضرأ لنية الجهاد في سبيل الله عاملأ لإعلاء كلمته، مُقدماً بقصد تحقيق الخير للمسلمين والضرر بأعداء الدين، لأن الجهاد عبادة لا تصلح إلا بنية.

وأما شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -، وهو كما أسلفت عاش ظروفاً مشابهة لظروفنا، فقد قال: " وكل من قاتل العدو بسيف أو عصا أو حجر فهو مجاهد في سبيل الله".

فجعل جهاد العدو متحققاً بالقتال بالحجر بغض النظر عما لدى العدو من سلاح وإمكانات، لأن في ذلك إرهاباً للعدو لا سيما عندما تواجهه الكثرة.

وقال في موقع آخر: "... وقد روى مسلم في صحيحه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قصة أصحاب الأخدود وفيها: (أن الغلام أمر بقتل نفسه لأجل مصلحة ظهور الدين)، ولهذا جوَّز الأئمة الأربع أن ينغمِّس المسلم في صف الكفار وإن غلب على ظنه أنهم يقتلونه، إذا كان في ذلك مصلحة للمسلمين.. فإذا كان الرجل يفعل ما يعتقد أنه يقتل به لأجل مصلحة الجهاد، مع أن قتله نفسه أعظم من قتله لغيره: كان ما يفضي إلى قتل غيره لأجل مصلحة الدين التي لا تحصل إلا بذلك ودفع ضرر العدو المفسد للدين وللدنيا الذي لا يندفع إلا بذلك أولى" (الفتاوى 28/ 540).

ويقول في موقع آخر: "ينبغي للمؤمن أن يفرق بين ما نهى الله عنه من قصد الإنسان قتل نفسه أو تسببه في ذلك، وبين ما شرعه الله من بيع المؤمنين أنفسهم وأموالهم له، كما قال - تعالى -: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ} [التوبه: 111]، قوله - تعالى -: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ أَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَوُوفٌ بِالْعَبَادِ} [البقرة: 207]، يشيري: أي يبيع نفسه". (الفتاوى 28/ 281).

ولا شك أن الخارجين في مظاهره، والذين يلقون بالحجارة على العدو بقصد إرهاب العدو وإساءة وجهه وكشف عدوانه، ورفض الشعوب للذل والهوان ووقوفها بشببها وشبابها وصغارها ونسائها إلى جانب حملة السلاح فيها وتأييدها لمشاريع جهادهم لاسترداد الحقوق المغصوبة والديار المسلوبة والكرامة المهدورة، لا يقصدون قتل أنفسهم؛ ولذلك يكرون ويفرجون ولكنهم في الوقت نفسه ينسون ذواتهم وأجسادهم لتحقيق الإضرار بـأعداء المسلمين وجلب الخير والنفع للمسلمين، فلا يمكن أن يعد فعلهم هذا من الانتحار، بل هو من أبر الجهاد وأجل صوره - بإذن الله تعالى -.

وبناء على كل ما سبق؛ فإن ما يذهب إليه بعض أهل العلم من القول بأن من يقتل في هذه المظاهرات يخشى أن يكون منتحراً لأنه كان في معركة غير متكافئة... ليس له أي حد من الصحة وهو غير مبني على قواعد الشرع وأصوله، لا سيما أن فقه هذه الأمة يقوم على معاني العزة والكرامة، وتربيبة المسلم ينبغي أن تكون على أساس رفض الضيم والظلم والعدوان ومواجهته بكل الوسائل، وعدم الاستكانة والخنوع في مواجهة المحتل الغاصب مهما احتاج إلى التضحيات وبذل المهج.

يقول الإمام الجويني: "إذا وطى الكفار ديار الإسلام، فقد اتفق حملة الشريعة قاطبة على أنه يتعين على المسلمين أن يخفوا ويطيروا إلى مُدافعتهم زرافات ووحدانا، حتى انتهوا إلى أن العبيد ينسّلون عن ربة طاعة السادة ويبادرون الجهاد على الاستبداد، فإذا وجب تعريض المهج للتوى - الموت -، وتعين في محاولة المدافعة التهاوي على ورطات الردى ومصادمة العدو، ومن أبدى في ذلك تمرداً فقد ظلم نفسه".

وإنني في هذا السياق لأناشد العلماء أن لا يُخْذِلُوا الأمة ولا يُخْتَلُوا شبابها بفتواهم التي لا أشك في الغالب بصدقهم في طرحها، ولكنني متأكد أنها غير مبنية على نظر ودراسة وتمحیص لقواعد هذا الدين وغير مبنية على دراسة علمية شرعية،

وإنما تنسجم مع الوهن الذي أُلقي في قلوب هذه الأمة؛ ((حب الدنيا وكراهية الموت)).

فما حصل في مجـلـ شـمـسـ، وـمـارـونـ الرـاسـ، وـقـلـنـدـيـاـ، وـبـيـتـ حـانـونـ وـغـيـرـهـاـ منـ المـوـاـقـعـ، منـ الـخـرـوجـ فيـ مـظـاهـرـاتـ وـاقـتـحـامـاتـ عـلـىـ حدـودـ فـلـسـطـيـنـ وـفـيـ دـاـخـلـهـاـ، إـنـمـاـ هوـ ضـرـبـ منـ ضـرـوبـ الـجـهـادـ -ـبـإـذـنـ اللـهـ تـعـالـىـ -ـ، وـإـنـ كـلـ مـنـ اـسـتـحـضـرـ نـيـةـ الـجـهـادـ فـيـ سـبـيـلـ إـلـاءـ كـلـمـةـ اللـهـ وـالـدـفـاعـ عـنـ بـلـادـ الـمـسـلـمـيـنـ مـنـ الـخـارـجـيـنـ فـيـ هـذـهـ الـمـسـيـرـاتـ وـالـمـظـاهـرـاتـ، إـنـمـاـ يـعـدـ فـعـلـهـ مـنـ الـجـهـادـ فـيـ سـبـيـلـ اللـهـ، وـمـنـ قـضـىـ مـنـ هـؤـلـاءـ نـسـأـلـ اللـهـ -ـسـبـانـهـ وـتـعـالـىـ -ـ أـنـ يـكـوـنـواـ فـيـ عـدـادـ الـشـهـادـهـ الـعـاـمـلـيـنـ عـلـىـ إـلـاءـ كـلـمـةـ اللـهـ فـيـ الـأـرـضـ وـالـعـاـمـلـيـنـ عـلـىـ تـحـرـيرـ الـأـرـضـ مـنـ الـغـاصـبـيـنـ.

وـلـ شـكـ أـنـ هـذـهـ الـمـسـيـرـاتـ وـالـاقـتـحـامـاتـ لـلـحـدـودـ وـالـمـظـاهـرـاتـ أـرـهـبـتـ الـعـدـوـ الصـهـيـونـيـ وـزـادـتـ مـنـ إـسـاءـةـ وـجـهـ وـتـسـليـطـ الـضـوءـ عـلـىـ عـدـوـنـهـ وـإـجـرـامـهـ، وـهـيـ إـضـافـةـ إـلـىـ ذـلـكـ رـوـحـ جـدـيـدـةـ سـرـتـ فـيـ الـأـمـةـ تـسـتـحـقـ مـنـ الـعـلـمـاءـ وـالـدـعـاـةـ أـنـ يـتـقـدـمـوـهـاـ وـيـشـارـكـوـاـ فـيـهـاـ، وـعـلـىـ أـقـلـ تـقـدـيرـ أـنـ يـشـجـعـوـهـاـ لـمـاـ يـتـرـتـبـ عـلـىـ ذـلـكـ مـنـ تـجـرـيـةـ الـمـسـلـمـيـنـ وـرـفـعـ رـوـحـمـ الـعـنـوـيـةـ وـبـثـ رـوـحـ الـجـهـادـ فـيـهـمـ وـنـزـعـ الـوـهـنـ مـنـ قـلـوبـهـمـ.

وـإـنـ فـيـ شـبـابـ الـأـمـةـ رـوـحـاـ جـدـيـدـةـ تـسـتـحـقـ أـنـ يـهـتـمـ بـهـاـ الـعـلـمـاءـ وـالـمـرـبـوـنـ، فـلـقـدـ رـأـيـتـ بـأـمـ عـيـنـيـ هـؤـلـاءـ الـشـبـابـ الـذـيـنـ مـاـ إـنـ وـصـلـوـاـ مـكـانـ التـجـمـعـ لـمـسـيـرـاتـ الـعـودـةـ مـقـابـلـ قـرـيـةـ مـجـلـ شـمـسـ مـنـ أـرـضـ الـجـوـلـانـ الـمـحـتـلـةـ، حـتـىـ هـرـعـوـاـ مـهـلـلـيـنـ مـكـبـرـيـنـ إـلـىـ حـيـثـ الـأـلـغـامـ وـالـحـوـاجـزـ دـوـنـ خـوـفـ وـلـاـ وـجـلـ مـتـجـهـيـنـ إـلـىـ الـأـلـغـامـ لـبـيـانـهـاـ وـوـضـعـ عـلـامـاتـ عـلـيـهـاـ لـلـاحـقـيـنـ مـنـ إـخـوـانـهـمـ، وـإـلـىـ الـحـوـاجـزـ لـاقـتـلـاعـهـاـ وـالـدـخـولـ بـالـعـشـرـاتـ وـالـمـئـاتـ إـلـىـ الـأـرـضـ الـمـحـتـلـةـ وـصـنـاعـةـ مـوـاجـهـةـ مـعـ الـعـدـوـ الـمـحـتـلـ دـوـنـ تـرـدـدـ، بـلـ كـانـ الـعـدـوـ يـفـرـ لـلـوـرـاءـ عـنـ كـرـهـمـ، وـأـنـاـ مـتـأـكـدـ أـنـ مـثـلـ ذـلـكـ حـصـلـ فـيـ مـارـونـ الرـاسـ، وـذـلـكـ دـلـيـلـ عـلـىـ أـنـ شـبـابـ الـأـمـةـ يـحـمـلـوـنـ بـيـنـ ضـلـوـعـهـمـ قـلـوبـاـ لـاـ تـهـابـ الرـدـىـ وـلـاـ تـخـشـىـ الـعـدـىـ، وـإـنـمـاـ هـيـ بـحـاجـةـ إـلـىـ مـرـشـدـ رـبـانـيـ وـعـالـمـ عـاـمـلـ يـوـضـعـ الـطـرـيـقـ وـيـرـشـدـ الـجـهـودـ وـيـوـجـهـ الـطـاقـاتـ، وـعـنـدـهـاـ تـكـوـنـ الـحـرـيـةـ وـالـعـزـةـ وـتـحـرـيرـ فـلـسـطـيـنـ أـقـرـبـ لـهـذـهـ الـأـمـةـ -ـبـإـذـنـ اللـهـ تـعـالـىـ -ـ.

إـنـهـ يـرـوـنـهـ بـعـيـدـاـ وـنـرـاـهـ قـرـيـبـاـ... وـالـحـمـدـ لـلـهـ رـبـ الـعـالـمـيـنـ

المصادر: